الرواية الحائزة جائزة الشيخ زايد للكتاب في الآداب 2015

«مجانين بيت لحم» تغيرات وسيرة مكان

أبوظبي- عبير يونس

الجنون الذي قليلاً ما ظهر في الأدب، أهل الكاتب والصحافي الفلسطيني أسامة العيسة، للحصول على جائزة الشيخ زايد للكتاب 2015 فرع الآداب، عبر طرحه المبتكر في رواية «مجانين بيت لحم»، فالرواية كما اعتبرت إدارة الجائزة التي أعلنت عن فائزيها يوم الاثنين الماضي، يرصد سيرة المكان، ويتتبع تغيراته، من خلال موضوعه الجنون، التي احتفى بها العمل وصورها على نحو يؤرخ لحقبة فكرية في العالم العربي.

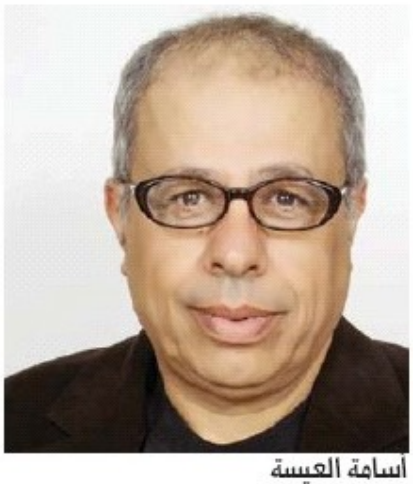

أسامة العيسة

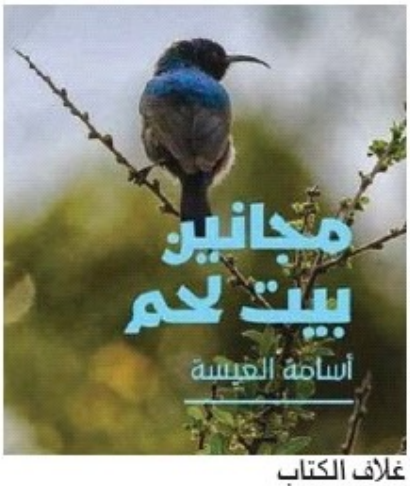

غلاف الكتاب

حقائق وأسطورة

اختار أسامة العيسة عبارة «يقول الفلسطينيون» ليبدأ فيها روايته، قبل أن يذهب إلى عالم مستشفى المجانين في بيت لحم، «دهيشة المجانين» وما بين العالمين، يمزج الأسطورة الشعبية، بالحقائق الأليمة للواقع الفلسطيني، فما يقوله الفلسطينيون، يرفض كل عبور أجنبي على هذه الأرض منذ مجيء إبراهيم باشا في العام 1833، مروراً بالعثمانيين والإنجليز وأخيراً اليهود. وعبر ثلاثة أقسام (سفر تكوين، سفر من لا أسفار لهم، سفر مشمشي) سبقها تمهيدات عدة، يطرح العيسة الجنون على طريقته ممسكاً بخيوط تاريخ هذه البلد، متتبعاً ظواهر الجنون من دون التعمق بالتحليل. وعبر سارد حكيم، تظهر قصة عجيل المقدسي عميد مجانين فلسطين على مر الأزمنة، مفرقاً بين دهيشة المجانين ودهيشة اللاجئين، موضحاً تاريخ هذا المبنى، الذي بدأ مع الإمبراطور الألماني غليوم، الذي زار فلسطين أواخر القرن التاسع عشر، وحالف العثمانيين، وبنى ميتم السريان، الذي تحول في ما بعد إلى مستشفى للمجانين. ويستمر السارد بالطرح ليغطي التحولات السياسية التاريخية، التي تنقل هذا المبنى من الألمان، للإنجليز وإلى الإدارة الأردنية بعد حرب الـ1948 ولليهود بعد حرب الـ1967، وللسلطة بعد أوسلو. وهو ما يلخص قرنين من الزمن تمر على أرض فلسطين.

أوجه الجنون

الرواية، التي كتب عنها بعض النقاد، بأنها تشكل تغييراً في مسيرة الرواية الفلسطينية والعربية، تسرد حكايات عشرات الشخصيات التي ترتبط بالسارد بطريقة ما، ولكنها تتميز كلها بإصابتها بلوثة من الجنون، منهم غازي جميل المجنون الأخرس، الذي يلتقيه السارد صدفة في مصف «سرافيس»، ويمسكه من ملابسه، ويذكره بجيرتهم في الدهيشة، وعلى هذه الطريقة يحيك العيسة روايته مقدماً نصوصاً متشابكة، أبطالها مجانين، بلغة إنسانية كما هي لغة الحكايات، مستنداً إلى السخرية كونه أسلوباً لتلك الحكايات، التي يربطها خيط الجنون، جنون المكان، جنون الإنسان، جنون الحرب، جنون الساسة، وجنون مفاوضات السلام، جنون الصحافة والصحافيين، وجنون العالم، إنها أوجه متعددة من الجنون الذي يجمعه العيسة في روايته ليؤرخ حقبة فكرية في العالم العربية، بطريقة متناغمة مع الحكاية الأم، لتوحي للقارئ أن هذا الجنون قد يراه بكل ما حوله بطريقة شبيهة بشكل أو بآخر.